

مشاركة الأدب الإنجليزي

في الدراسات العربية

نقد عن « برنارد لويس »

للأستاذ عبد الوهاب الأمين

٢ — بداية الاستشراق

لقد رأينا كيف ذهب العلماء الإنجليز في القرون الوسطى إلى أسبانيا وصقلية لثاق العلوم من العرب ، وكيف نشروا ما اكتسبوه بعد عودتهم إلى إنجلترا . وسنتطرق الآن إلى تطور جديد في الدراسات العربية ، وهو ظهور ما ينبغي أن يسمى أوائل المستشرقين بالمعنى الذى تؤديه كلمة الاستشراق فى العصر الحاضر . فقد حدثت تغيرات كبيرة فى خلال السنين التى مرت على الزمن الذى مر بين الدور الذى درسناه فى حديثنا السابق ، والدور

تريد علماء لا نشغلهم بالتقليب ولا يشغلون أنفسهم بالدرجات والرتب والأوسمة واتخاذ التدريس وسيلة إلى الجاه الحكومى على صورة من الصور . علماء يحج الناس من مختلف البقاع للشرف بالاستماع إليهم والمباهاة ببقائهم واتخاذ مؤلفاتهم مصابيح للاهتداء ومراجع للاقتداء .

وعندى أن هذا سيكون ميسوراً لجامعة الإسكندرية أكثر من جامعة القاهرة ؛ ذلك أن القاهرة ، حيث تتجمع فيها أندية السياسة والصحافة والأحزاب والألقاب وألوان الجاه ، لن تقتأ تجذب إلى جاهها رجال الجامعة والتعليم . أما الإسكندرية فهى بمنجى من هذا الجاه . فى الإسكندرية الهدوء والصفاء وزرقة السماء والماء — الأمر الذى ينشده العلماء ولا يجدونه فى القاهرة الصاخبة الثقيلة الضخمة

فعلى رجال الدولة — والأمر كما أوضحنا — أن يهينوا لجامعة الإسكندرية ذلك الجو الجامى ، وتلك البيئة العلمية الحقة ، لكي تستفيد مفاخر جامعة الإسكندرية القديمة

بهد الله صبح

الذى سنأتى إليه الآن . فتقدمت أوروبا تقدماً ذا شأن فى العلم والمعرفة ، وقد العرب تفوقهم القديم ، ولم يعد من الضروري للدارسين من الأوربيين أن يتعلموا إلى مدرسين من العرب ، ليتلقوا منهم العلوم العامة ، وأخذنا نشاهد نوعاً جديداً من الاستشراق ، وهو ذلك النوع الذى يعتبر أساساً للاستشراق الحديث ؛ فقد أخذ الباحث الإنجليز يدرس العربية لا لتحصيل ما يمكن أن يأخذه من العالم العربى من فلسفة وعلم ، بل من أجل الثقافة العربية نفسها . وللمرة الأولى شرع الإنجليز فى دراسة اللغة العربية والآداب العربية دراسة جدية . وكان عملهم — كعمل المستشرقين المحدثين — ذا نفع للعرب بقدر نفعه للفرنك ، وهو ينطوى على جمع القواميس العربية والنحو والصرف ونشر المخطوطات العربية — قبل أن يتم طبعها فى الشرق زمن طويل — والبحث العلمى فى تاريخ العرب وآدابهم ، وغير ذلك من مظاهر النشاط التى تدخل فى هذا المضمار . وقد بدأت هذه الحركة فى القرن السابع عشر ، وفى هذا القرن أنشئ منصب أستاذية اللغة العربية فى جامعتى أكسفورد وكامبردج ؛ وأخذ الأساتذة الإنجليز يدرسون اللغة العربية لعدد من المتشوقين لها من الطلاب ، وطبعت أوائل الكتب العربية فى إنجلترا . وعلينا أن نأتى بشيء من التفصيل لحياة بضعة أفراد من ذوى المشاركة فى هذه الأعمال :

إن الرجل الذى يعرف بصورة عامة بأنه « أبو الدراسات العربية » فى إنجلترا هو « وليم بدويل » (١٥٦١ — ١٦٣٢) وله مقالة طريفة يؤكد فيها أهمية اللغة العربية وضرورة تعلمها ، وهو يصفها بكونها « لغة الدين الوحيدة ، واللغة الرئيسية للدبلوماسية والأعمال من الجزر السميدة إلى بحار الصين » . وتكلم عن نفعها فى الآداب والعلوم . ولقد كان لبديويل بعض الشهرة فى عصره ، وعرف فى جميع أوربا بأنه عالم بالعربية ، وكان أهم آثاره معجماً عربياً فى سبعة مجلدات لم يطبع لسوء الحظ . وفى وسعنا أن نذكر بين كتبه بعض الأصول العربية التى طبعت فى إنجلترا ، وبعض الدراسات عن القرآن ، ومعجماً للألفاظ العربية المستعملة فى اللغات النربية من المهد البيزنطى إلى عهدنا . وهناك شخصية أخرى هى شخصية « آدموند كاستل »

من شغل منصب أستاذ اللغة العربية في جامعة أكسفورد، وأول المستشرقين الأوربيين الذين قاموا بأعمال من الدرجة الأولى حقاً؛ فقد بدأ بوكوك دراسته للغة العربية في أوائل عمره؛ وكان ولیم بدويل يرعاه، كما قام «مانياس باسور» - وهو أحد النازحين من ألمانيا بسبب الاضطهاد - بتعليمه مدة من الزمن في جامعة أكسفورد. وذهب في سنة (١٦٣٠) إلى حلب حيث قضى هناك خمس سنوات أتعن في خلالها اللغة العربية كتابةً ولفظاً، واقتنى مجموعة نفيسة من المخطوطات العربية جاء بها معه عند عودته إلى أكسفورد، وبذلك أنقذها من التلف الذي كان من المحتمل أن يحل بها، وأنشأ لنفسه صداقات مع كثير من الحلبيين وعلي رأسهم «الشيخ فتح الله» أحد العلماء الذين درس عليهم، وقد بقي صديقاً له مدى حياته.

وفي سنة ١٦٣٦ عند ما عاد بوكوك إلى إنجلترا عين في المنصب الذي أنشئ حديثاً للغة العربية في أكسفورد، حيث حاضر في الأدب العربي وقواعد اللغة العربية، وبدأ فصوله تلك بمحاضرة عن أهمية اللغة العربية والأدب العربي. وشرع في سلسلة محاضرات يدرس فيها أقوال الإمام علي.

وفي سنة ١٦٣٧ زار مصر للمرة الثانية بنية الحصول على معلومات جديدة ومخطوطات جديدة، وقد عاد إلى أكسفورد في سنة ١٦٤١ وخصص أيام حياته الأخيرة للعمل المنتج في إنجلترا، وكان «جون كريفس» الرياضي قد صاحبه في رحلته الثانية.

وفي خلال إقامته الطويلة في أكسفورد - حيث كان يجلس في ظل شجرة التين التي جاء بها معه من سوريا، والتي لا تزال موجودة إلى الآن، وهي أقدم شجرة من نوعها في إنجلترا - أخرج بوكوك عدداً كبيراً من الكتب المهمة نذكر منها ما يلي:

١ - «نموذج من تاريخ العرب»: وهو نصوص من تاريخ أبي الفرج، مرادفة بسلسلة من الدراسات المستفيضة عن النواحي المختلفة لتاريخ العرب، وعلومهم، وآدابهم، ودينهم. وهذا الكتاب من أهم آثار المستشرقين، وظل يحتل هذه الترتبة لدى العالم مدة طويلة. طبع في أكسفورد سنة ١٦٤٩ وأعيد طبعه في سنة ١٨٠٦

(١٦٠٦ - ١٦٨٥) وهو أحد أوائل أساتذة كامبردج في اللغة العربية، وقد كان الأثر الذي ألقى فيه حياته هو (قاموس اللغات السامية)، استنفد تصنيفه منه ثمانية عشر عاماً، وطبع لأول مرة في سنة ١٦٦٩. ويتكلم مؤلفه في مقدمته عن «الإنثى عشرة عاماً التي انقضت في العمل المستمر لما يزيد على ١٦ أو ١٨ ساعة في اليوم - ونادراً ما قل عن هذا المقدار - من السهاد، وضنى الجسم، وضياح المسال». وقد كان هذا القاموس - وهو الأول من نوعه - عظيم الأهمية وأعيد طبعه عدة مرات في إنجلترا وأوربا. ونذكر من جملة آثار كاستل الأخرى عجيالة عن أهمية اللغة العربية، وتعليقاً على ابن سينا، ومجلد أشعار عربية مهدى إلى الملك شارلس الثاني ملك إنجلترا

ومنهم «جون كريفس» (١٦٠٢ - ١٦٥٢)، وهو أحد الرياضيين المشهورين. وكان وقتاً ما أستاذ علم الهيئة في جامعة أكسفورد. وكان كثير الأسفار إلى الشرق الأدنى وعلى الأخص إلى مصر، ودرس اللغة العربية والفارسية دراسة جديده، واقتنى بمجموعة كبيرة من المخطوطات العربية والفارسية، والنقود والجوهر، وطبع أجرومية صغيرة للغة الفارسية. وكان اهتمامه الرئيسي في الناحية الرياضية من أدب المسلمين فنشر عدة نصوص ودراسات في هذا الموضوع، وكان أخوه «توماس كريفس» يعرف العربية أيضاً والفارسية ونشر بضع مقالات

ونذكر من جملة العلماء في العربية الآخرين في القرن السابع عشر «إبراهيم وبلوك» وهو أول أستاذ للغة العربية في جامعة كامبردج؛ و«سامويل كلارك» صاحب عجيالة في القريض العربي ومقررات بعض أسماء الأماكن العربية؛ و«ريان والتون» الذي طبع الإنجيل بمدة لغات شرقية؛ و«دَدَلِي لوقس» وهو أحد علماء وقهاء القانون الإيرلندي. وقد لعب «جون سلدان» (١٥٨٤ - ١٦٥٤)، السياسي القانوني دوراً مهماً في الحياة الإنجليزية في ذلك العهد، وكان يعرف عدة لغات شرقية منها اللغة العربية فضلاً عن معلوماته الأخرى. وقد نفع ونشر بعض النصوص العربية التاريخية، وترك وراءه مجموعة من المخطوطات الشرقية

وتقد كان أعظم العلماء بالعربية في ذلك الحين بلا منازع هو «ادوارد بوكوك» (١٦٥٤ - ١٦٩١) الذي كان أول

العربية العظمى بين تواريخ الإنسان ، وأن يعملوا على طلب المزيد من معرفتها . وقد كتب كل من بدويل وكاستل وبوكوك جميعاً مقالات عن أهمية اللغة العربية بصورة عامة ، والحاجة إلى أن يدرسها رجال أ كفاء

وينبغي أن نذكر أخيراً العلاقات المستجدة في التجارة والسياسة بين إنجلترا والشرق الأدنى ، وما أطلقته من مصالح ومناسبات ، فبفضل تلك المناسبات أتيح لبوكوك أن يقوم برحلتيه الشرقيتين إلى الشرق ، وكانت تلك المصالح متمسكة الأرجاء ولم تقتصر على رئيس الأساقفة « لور » ولم يكن هو الوحيد الذي اهتم بنشر الدراسات العربية في إنجلترا ، والتبرع بالكروسي الأدبي للغة العربية في أكسفورد

وبالرغم من الاضطرابات التي أحدثتها الحرب الأهلية في نهاية القرن السابع عشر ، فإن هذا العصر كان جديراً بالاعتبار ، فقد تألفت فيه مراکز للدراسات العربية في أكسفورد وكامبردج ، وطبع عدد كبير من الكتب ، وأنشئ عالم جديد أنتج فيما تلا ذلك من العصور عدداً متتابعاً من الباحثين المشهورين الذين زادت آثارهم في ثروة التراث الثقافي لكل من العرب وأوروبا ، وسنتكلم عنهم فيما يلي من هذه الفصول .

عبد الرههاب أبو ميم

٢ - لامية العجم : وهي طبعة انتقادية لتقصيدة الطغرأئي الخالدة ، وقد أرفقت بترجمة وشروح وملاحظات ، وطبعت في أكسفورد سنة ١٦٦١

٣ - المختصر في تاريخ الدول : وهو النص الكامل لتاريخ أبي الفرج مع ترجمته .

لقد وسم « بوكوك » بحياته وأثاره دوراً من أدوار الدراسات الأوربية الشرقية بميسمه ، وكان ذا شهرة مستفيضة في زمنه ، ويدين له جميع العلماء الذين خلفوه بدين كبير . وكان العلماء في جميع أنحاء أوروبا والشرق يكتبون إليه طالبين العونة والإرشاد ، وينفذ إليه العدد الكبير من الطلاب من البلاد القسوية - كرومانيا مثلاً - إلى أكسفورد ، لدراسة اللغة العربية على يد أعظم أساتذتها الأحياء في أوروبا . ولقد وصفه قرينه في معرفة اللغة العربية المستشرق الهولندي كوليبوس أستاذ اللغة العربية في جامعة ليدن نفسه بأنه « لا يداينه أحد في عالم الاستشراق » . وقد ترك زيادة على الكتب التي مر ذكرها عدداً من الدراسات الأخرى ومجموعة من (٤٢٠) مخطوطة اقتنتها بعد موته مكتبة أكسفورد ولا تزال هناك حتى الآن ، وهي تكون جناحاً ذا قيمة من القسم العربي من تلك المكتبة .

ولقد خلف ستة أبناء كان أكبرهم - واسمه إدوارد بوكوك أيضاً - (١٦٨٤ - ١٧٢٧) قد تابع خطة أبيه واعتنى بالدراسات الشرقية ، وقام بطبع عدة كتب من ضمنها الطبعة التي لم تكمل لتاريخ مصر لعبد اللطيف ، وترجمة لإحدى خوالده ابن طفيل الفلسفية

وعلى ذلك كان القرن السابع عشر دور تطور عظيم في تاريخ الدراسات العربية في إنجلترا . ويمكن إرجاع سبب الاهتمام الجديد بالدراسات الشرقية إلى عدة عوامل يأتي العامل اللاهوتي في أولها ولا شك ، فقد كان من المفهوم في ذلك الحين أن اللغتين العربية والعبرية متقاربتان كل التقارب . ومن المؤمل أن تؤدي دراسة اللغة العربية إلى إلقاء ضوء جديد على « المهد القديم » . وأوغل من ذلك في الأهمية هو الإدراك الجديد لثروة اللغة العربية والتاريخ العربي من الوجهة الثقافية . ولقد شهد العصر المتقدم عهد إحياء جديد للدراسة على أوسع معانيها ؛ فشملت الاهتمام الجديد باللغات والدراسات الكلاسيكية ، وكان من الطبيعي أن يدرك طلاب التاريخ البشري والمدنية أهمية اللغة

الأسبوع الثاني

على سبيل الحياة




تسبيل

حسين رياض

روحته خالد

زينب صدي

انور وجندي

جميعهم هم من عائلة حسنة

وفي نفس البرنامج اكتشفنا مسرور في سبيل الحياة
تسبيل وشماره في كل من المراسم والبرامج

سينما تونو مصر